(EISSN :2602-5434) -(ISSN:2437 -0231)

التداخلات اللغوية في الأساطيروتأثيرها على ترجمة المصطلح واستخداماته

Linguistic interactions in myths and their influence in the translation of the word and its use

د. حسناء سعادة

أستاذة محاضرة قسم أ

بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

الجزائر

تاريخ الإرسال: 2018/05/12 تاريخ القَبول: 2019/05/24 تاريخ النّشر:2019/12/15

ملخّص:

كلنا يعرف الأسطورة، أقدم الأجناس الأدبية وأكثرها توظيفا في الأدب المعاصر، وانقسم الدارسون ما بين معترف بأهميتها وقيمتها، ومنكر لوظيفتها وتواجدها في الوقت الحالي، لاعتقاد الكثيرين بأنها اندثرت فلا فائدة من الاهتمام بها؛ والمؤكد أنه رغم اندثارها إبداعا إلا أن آثارها وبقاياها لا زالت متخفية في أشكال أدبيه أخرى، أو لنقل إنها تحولت إلى أنواع قصصيه أخرى، ما أدى إلي اضطراب مصطلحي كبير وخلط في الترجمات؛ وما هذا إلا لاختلاف ثقافتنا العربية عن الثقافات الأوروبية المترجم عنها، فحدث تداخل بين الأجناس الأدبية التي ظهرت بعد اندثار وتفكك الأسطورة وخلط في تسمياتها، لكن تبقى الأساطير رغم ذلك متأصلة في أعماقنا وتفكيرنا، إذ كم من تصرف نمارسه في حياتنا اليومية يعود في أصله إلي أسطوره قديمه. ولا زالت جل اللغات تحمل في ثناياها بقايا أسطورية، إذ تنسب أماكن كثيرة لآلهة قديمه، وما شهر تموز وكوكب الزهرة وجبال الأطلس في اللغة العربية، وكواكب المجموعة الشمسية في اللغات الأوروبية، وغيرها كثير إلا شاهدا علي هذا التداخل اللغوي، فكان موضوع هذا المقال لضبط المصطلح أولا، والتمييز بينها وبين الأجناس الأدبية المتفرعة عنها، والتأكيد علي أهمية الأسطورة والمكانة التي لازالت تحتلها في اللغات العالمية ليس إبداعا وأدبا فقط بل وحتى منطوقا واستعمالا .

الكلمات المفتاحية:التداخلات اللغوية ؛ الأساطير؛ ترجمة؛ المصطلح.

Abstract:

Everybody knows that the legend is one of the ancient genres of literature and the most used in modern literature. However, some believe in its importance and some deny and refuse its actual presence because they see it as already disappeared and there is no need to focus on. Even though the legend is lost in term of creativity, its scares are still being hidden in other genres of literature or at least they are becoming some kind of stories. This caused a huge confusion in terminology and translation mainly because of the difference of Arab culture from the European culture. This issue has created some kind of interference between the genres of literature that occur after the disappearance of the legend. Despite all what happened, the legend still present in our thoughts, in our daily activities that are sometimes referring to ancient gods and sometimes prove this linguistic interference, as an examples in Arabic, there are these words: Tammouz, Elzohra planet, al Atlass mountains and the solar system planets names in the Europeans languages. This is why this article is mainly written and tried to define and identify the term, to distinguish between it and other genres of literature, and show the importance and the role of the legend among the international languages not only in term of creativity but even In speaking and use.

Keywords: Linguistic interactions, myths, translation.

مقدمة:

ارتبط ظهور الأدب الشعبي بالإنسان البدائي، فقد غنى ورقص ونحت، بكى واشتكى، فرح وحزن، اشتغل وعمل، وتصارع مع المظاهر الطبيعية والحيوانات، كل هذه مارسها الإنسان وخلدها بطريقته الخاصة والبدائية، فشكلت رصيده الثقافي والأدبي التي توارثها أبناؤه على مر العصور. سميت هذه الممارسات: الأدب البدائي أو الثقافة البدائية أو الشعبية، ومنها الأدب الشعبي المتمثل خاصة في تلك الملاحم والأساطير والحكايات الخرافية وحكايات الحيوانات، بما تضمه في ثناياها من أجناس أخرى كالأمثال والحكم وبعض الأشعار.

تحفظ لنا الآداب الشعبية لعراقتها ذخيرة وافية نستطيع بدراستها أن نعرف الحياة الذهنية والروحية لأسلافنا الأقدمين، وكذلك نستطيع بواسطتها أن نضبط التاريخ الاجتماعي لهذه المراحل الأولى من المجتمع البشري.

تعاريف الأسطورة:

تعد الأسطورة من أقدم أقسام الأدب الشعبي ظهورا، كثيرا ما يتردد اسمها على الألسن ويتداولها الناس في أحاديثهم بصيغتها المفرد والجمع، فما هي أشكالها ومظاهرها؟ هل زالت واندثرت هذه الأساطير أم لا تزال موجودة إلى وقتنا

الحالي تحت أقنعة أخرى، ومختفية وراء مسميات مغايرة بعد أن تحولت إلى أشكال مختلفة؟ والأهم من كل هذا وذاك هل بقي لها حضور ضمني في لغة الاستعمال اليومي ؟ وهل ندرك ذلك؟ هذا ما سنناقشه في الصفحات المقبلة .

لكن السؤال الأعظم الذي يطرح نفسه قبل كل ذلك: ما هي الأساطير؟ سؤال يعد إشكالية قائمة بحد ذاتها، يمكننا أن نستعير للإجابة عنه رد القديس أغسطين عندما سئل عن الزمن، فعندما لا يطرح علينا أحد السؤال نظن أننا نعرف الجواب لكن عندما نُسأَل نحتار ونعجز عن الرد: هل هي أباطيل وخرافات وأحاديث لا نظام لها؟ كما وردت في القرآن الكريم[1]، وهو التعريف الذي يعتمده البعض مدعاة لرفضها ويدفعهم للتساؤل عن جدوى دراسة هذه الأكاذيب. أم هي . كما يعتبرها آخرون . حكايات الآلهة والأبطال؟[2] على غرار ما ورد في الإلياذة والأوديسة، لأن الأسطورة نوع من التفكير ساد في مرحلة ما قبل الفلسفة وحاول فيه الإنسان أن يكتشف نظام هذا الكون والروابط الخفية التي تكمن وراء مظاهره، لربط أسلافنا كل ما يجري في الكون والطبيعة بآلهة تسيره وتتحكم فيه.

وقد تتجاوز الأسطورة كل ذلك لتشمل جميع قصص الخلق، فتقص حكاية مقدسة حدثت في الزمن الأول، ويتم فيها الحديث عن شيء ما كيف تم إحداثه وكيف بدأ وجوده[3]، مثل الأسطورة التي حاولت تفسير لماذا الحب أعمى ويرتبط دائما بالجنون، أو أسطورة تخاصم الشمس والقمر، وتعاقب الفصول وما إليها.

يعتقد البعض في أهميتها لتأسيس أعمال البشر وجميع أشكال الفعل والفكر التي يحدد بها الإنسان موقعه من العالم، فتكون ذات وظيفة رمزية معرفية استكشافية[4]؛ وهو ما يدل على منزلتها لدى الشعوب القديمة، فالعديد من الأساطير تجسدت من خلال طقوس معينة مرتبطة بها، إذ أنه في مرحلة من مراحل تطور العقل البشري أصبح الإنسان يتقرب إلى الآلهة بالقرابين جلبا لرضاها ودفعا لسخطها، وذلك بممارسة طقوس خاصة، وكثيرا ما تندثر الأسطورة ويبقى الطقس المصاحب لها.

هل تشمل الأساطير كل القصص التي تعود إلى زمن موغل في القدم، مهما كانت طبيعتها أو موضوعها؟ الحقيقة أن كل واحد يقدم تعريفا منها يراه الأصلح والأنسب لما يمليه عليه الموضوع الذي اضطره لتوظيف هذه الكلمة، الأمر الذي

ينسحب على المصطلح المقابل لها باللغات الأجنبية، وهو ما لفت انتباهي ودفعني لتحرير هذه الصفحات لضبط المصطلح أولا، وتحديد الأجناس الأدبية المتفرعة عنه التي يظنها البعض هو، ما يجعلهم يقعون في نوع من الخلط عند تصديهم لدراسات لها علاقة بالأساطير، وما ذاك إلا بسبب الاختلاف الثقافي الذي أثر على مفهومية المصطلح وانتشاره .

الأسطورة والتاريخ:

لم ترد الأسطورة على صيغة المفرد قديما، وهي تشبه كلمة هستوريا historia اليونانية، وتدلان على معنى القصة أو الرواية أو التاريخ، وأيضا على ما تركه الأقدمون من حكايات هي في الأغلب أحداث خارقة للعادة وأباطيل. يكشف هذا عن العلاقة الوطيدة التي كانت قديما بين الاثنين .

يتبادر الى الاذهان أولا سؤال جوهري: أيهما أسبق إلى الوجود الأسطورة أم التاريخ؟ وما العلاقة بينهما؟ هل يتداخلان أم هناك حدود تفصل بينهما؟

من الضروري أولا التفريق بين التاريخ والوقائع التاريخية التي كانت الأسبق إلى الظهور بطبيعة الحال، ثم صيغت بطريقة أو بأخرى في الأساطير قبل أن تحفظ في كتب التاريخ، باعتبار الأسطورة أسبق من العلم الذي يعد التاريخ قسما من أقسامه المختلفة المتشعبة، بل إنه يتداخل معها ويستفيد منها.

لكن عند التعمق في جوهر الاشكالية نجد أنه من الصعب الفصل بينهما، خاصة أن **"الأسطورة في بعض جوانبها ذاكرة الإنسانية، فيها تحفظ الأحداث طرية غضة بشكل رمزي لا يتطلب فهمه سوى الإمساك بمفاتيح التفسير"**[5]. ففي ذلك الزمن الموغل في القدم كانت الأساطير، وهي وسيلة حفظ الوقائع التاريخية، كان فيها الإنسان يسرد ما يمر به من أحداث هامة، و**"تزود الانسان بذاكرة تاريخية تعطيه إحساسا بوجود مبرر لحياته، وبدون هذه الذاكرة يصير الانسان إلى حالة أشبه بالموت"**[6]. إذ نلاحظ أن الكثير من الوقائع التاريخية التي أثبتتها الديانات السماوية مما لا يدع مجالا للشك في صحتها، قد تم سردها بشكل دقيق في الأساطير التي تراكمت فيها معارف وتجارب أجيال كثيرة، فكانت بمثابة موسوعة حياتية لهم، بإمكانهم أن يعثروا فيها على إجابات لأهم المسائل الحياتية: الإجابة

التي نبحث عنها نحن في الوقت الحالي في التاريخ[7]، شأن قصة الطوفان المفصلة في ملحمة جلغامش البابلية التي تعود إلى ما قبل الألف الثاني للميلاد .

إن كان البعض اليوم يرى في الأساطير اختلاقا وهميا بعيدا عن الواقع ويتساءلوا إن كانت حيوية وعملية؟ وأين تكمن الحقيقة فيها والاختلاق؟ لكن القدماء لم يطرحوا هذه الأسئلة على أنفسهم في يوم من الأيام لأنهم **"آمنوا بصحة الأسطورة إيمانا مطلقا لا تحده حدود، وكل ما روت عنه الأساطير كان بالنسبة إليهم حقيقة كاملة مطلقة . ولم يأت ايمانهم هذا لأنهم كانوا أغبياء ونحن أكثر ذكاء منهم، بل لأن الأساطير كانت ترسم لهم الطريق التي يجب عليهم أن يتبعوها"**[8].

وعليه إن كان من اليسير اليوم تمييز الأسطورة عن التاريخ، إلا أن فصلهما يكاد يكون متعذرا أو مستحيلا في السابق، باعتبار **"الأسطورة كما عاشتها المجتمعات القديمة هي التاريخ والدين والمعرفة والأخلاق: فهي التاريخ لأنها تحكي قصة كائنات علوية هي محل تقديس واحترام لأنها أصل كل شيء. وهي الدين تبعا لذلك. كما أنها المعرفة لأنها تخبر بأصل الموجودات بدءا من الكون إلى المؤسسات الإنسانية وكيف ظهرت. وهي الاخلاق إذ هي تقدم من خلال التاريخ والدين والمعرفة نموذجا ومثلا أعلى للتصرف والسلوك يتم إحياؤه وإخراجه إلى حيز الوجود من خلال حفظ الأسطورة قولا وفعلا، أي من خلال المناسك والشعائروضمان استمرارها"**[9].

وبعد ألا يدعونا هذا لرد الاعتبار للأساطير، التي ظهرت في وقت لم يكن للإنسان وسيلة أكثر عقلانية للإجابة عن مختلف التساؤلات التي تطرأ على تفكيره حول نشأة الكون، والقوى المسيطرة على مختلف الظواهر الطبيعية المحيطة به، وذلك قبل ظهور الدين والعلم والفلسفة .

كان الإنسان في تلك المرحلة الموغلة في القدم يقف عاجزا أمام جبروت الطبيعة، يلاحظ ما فيها من عناصر ومن مظاهر ذات أثر مباشر في كيانه، فدفعه ذلك إلى التساؤل عن حقيقة ما يتعرض له وما يصادفه، فتخيل خلف هذه المظاهر آلهة تتحكم بها؛ وقد حاول هذا الإنسان البدائي استرضاءها ظنا منه أنه يكسب بذلك مساعدتها أو يأمن غضبها فقدم لها القرابين، وقد أدى هذا الواقع إلى اشتمال الأساطير على طقوس تعد جزءا أساسيا منها وعنصرا ضروريا .

وحين نقول الإنسان البدائي نقصد الأول الذي ينتمي إلى تلك الفترة الموغلة من تاريخ الإنسانية، ولا نعني على الإطلاق بدائية التفكير أو سذاجته، إذ أثبتت الكثير من الأساطير أن مبدعها كان ذو مستوى عقلي متميز، وصاغ بعضها حقائق أثبت العلم الحديث صحتها. لكن درج الكثير من الناس وإلى وقت قريب على التقليل من مقدرات أسلافنا العقلية والتشكيك في سلامة تفكيرهم، وما ذاك سوى لأنهم اطلعوا على انتاجاتهم الأدبية ومن بينها الأساطير بشكل سطحي دون التعمق في دلالاتها ورموزها.

أما في الوقت الحالي فقد أصبح النقاد ينظرون إلى الأساطير نظرة كلها الاحترام والتقدير، لأنها التعبير عن الحقيقة بلغة المجاز، وهي كالعلم تحاول الإجابة عن أكثر الأسئلة جذريا عن أصل الكون ومصيره، وتَكَوُّن النجوم والقوى الطبيعية وعن مصدر الحياة وهدفها.

ضبط المصطلح:

استخدمت الأسطورة حديثا كترجمة لكلمة **Mythe** أو **Mythos**، ومعناها عند الإغريق القدماء يعني الكلمة المنطوقة، ثم تحدد استعمالها فأصبحت تعني الحكاية التي تختص بالآلهة وأعمالهم ومغامراتهم. وهذا يفسر أحد التعريفات الدارجة لها كما أشرنا أعلاه .

يظن الكثيرون خطأ أنها ترجمة لمصطلح **légende**، وللأسف فقد شاع هذا الاستخدام الخاطئ عند غالبية المستخدمين، بل وتعداهم إلى بعض الدارسين من غير المتخصصين، وما هذا اللبس في الترجمة إلا نتيجة تعميم المصطلح أحيانا وإطلاقه على أمور خارجية تماما، كقولهم "محمد علي كلاي أسطورة الملاكمة"، أو "بيلي أسطورة الكرة المستديرة"، أو "فلانة أسطورة السينما" وترجمتها المتداولة المألوفة بالفرنسية مثلا "cette personne est une légende vivante" ولا يقال عنه مثلا إنه **Mythe** لحرصهم على تاريخية وقدم الأساطير. ولم تعبأ الترجمة العربية بذلك، ونظرت إلى التصرفات غير العادية لأولئك الأشخاص، فوسمت أعمالهم بالطابع الأسطوري لأن ما يجمعهما هو الجانب التاريخي . ولعل أهم الأسباب التي أدت إلى هذه الفروق الترجمية هي اختلاف الثقافات، باعتبار أن الأسطورة تحولت بعد اندثارها إبداعا إلى أشكال أدبية أخرى، وتخفَّت ضمن العديد من الأجناس الأدبية، ويستخدم هؤلاء كلمتي أسطورة **Mythe** وخرافة

légende كأنهما كلمتان مترادفتان، والواقع أن هناك فرقا جوهريا بينهما من حيث المضمون وما يجب أن يستخدم فيه.

ولعلنا نبادر إلى القول إن الجذع المشترك للأسطورة والخرافة هو الجذع **"اللاشعوري الوجداني الذي يرتبط به الإنسان ارتباطا لا محيص عنه. فالأسطورة تتعلق باللاشعور الجمعي وتنشأ عنه . بينما ترتبط الخرافة باللاشعور الفردي وإن كانت في كثير من الأحيان تنعكس بأصدائها على ذلك اللاشعور الجمعي."**[10] إذ يعتقد مبدع الأسطورة في صحتها اعتقادا جازما كونها مقدسة بالنسبة إليه، فالأساطير في نظر أصحابها الذين ابتدعوها عين الحقيقة. أما في نظر سواهم فلا تؤخَذ مأخذ الجد بل هي عين الوهم والباطل والمُحال.

أما الخرافة[11] فاعتقد البعض إنها إنتاج ثقافي ظهر تاليا لمرحلة ظهور الأساطير وقد حل محله، وتعد هذه الحكايات بقايا أساطير لم يعد الناس يعتقدون فيها، ورأى آخرون أن أساطير قوم قد تصبح حكايات خرافية عند قوم آخرين لا يعتقدون فيها، وهناك من يقول مثل ليفي ستروس إن الحكايات الخرافية في مجتمع ما أساطير في مجتمع آخر والعكس صحيح.

تتميز عن الأسطورة بأنها ليست محل اعتقاد من أي كان، لا من الذي يقصها ويرويها ولا من الذي ينصت اليها، بل تروى غالبا لتزجية الوقت وأخذ العبرة **"فالخرافة اعتقاد وتفسير لا يتفق والواقع الموضوعي، بل يتعارض معه، ولكن ليس كل اعتقاد أو فكرة تتعارض مع الواقع الموضوعي تعد خرافة. لأنه يشترط في هذا الاعتقاد أن يكون له استمرار في حياة من يؤمنون به"**[12] . ولكن هل هذا الحد الفاصل بين الأسطورة والخرافة حد قاطع؟ أليست بعض الخرافات أساطير كف أصحابها عن الإيمان بها، وبالتالي **"تكون بين الأسطورة والخرافة علاقة نشوئية إذا ما نظرنا اليهما في مجرى الزمان وفي سياق التطور التاريخي"**[13]. وهذا ما تكشفه لنا علاقة أسطورة النفس والعشق الرومانية بمجموعة من الحكايات الأمازيغية في الجزائر[14].

إن ما يميز الأسطورة عن الخرافة هو كون الثانية .في عرف من يرويها ومن ينصت إليها . من محض الخيال أو الأوهام أو من الأباطيل المستملحة فلا يصدقها أو يؤمن بها، أما الأسطورة فهي خطاب الجد والحقيقة ولذلك فهي محل اعتقاد . وتقابلهما على الطرف الآخر الحكاية العجيبة والقصص البطولية التي تتسم

ببعض ما تتسم به الخرافة من إغراق في الخيال ببعدها عن الواقع، الا أن لها أصل في الحقيقة، شأن الجن في الحكايات العجيبة عندنا نحن المسلمين، لأننا نؤمن بوجودهم بدليل ذكرهم في القرآن الكريم، لكن الخيال الشعبي الخلاق عمل فيهم عمله فضُخِّمَ وبُولِغ فيه، لكنه مع ذلك يبقى خال من طابع الجد والقداسة الذي تتسم به الأسطورة[15].

إذن بعد تطور العقل البشري وتخليه عن الإيمان بمضامين الأساطير القديمة تحولت إلى حكايات خرافية، واستبدلت شخصية الإله بشخصية الغول الذي ورث عنه بعض صفاته، لكن بعد مجيء الإسلام ظهر الجني باعتباره حقيقة أكدها الإسلام، ليُلغِي شخصية الغول، الذي يكتنف الشك حقيقته بدليل قول العرب "ثلاث ليس لهن وجود الغول والعنقاء وطير الودود"، فهي مقولة كانت كافية لتزيح الحكاية الخرافية . وبالتالي الغول . عن عرشه، واستبدالها بالحكاية العجيبة المصورة للجن . كل هذه التحديدات والتمايزات إنما هي عندنا نحن العرب المسلمين بسبب إيماننا العقائدي بوجود الجن، بينما لم يعرف الغرب هذه الاختلافات فكلاهما واحد عندهم، ويخرج عن دائرتهم الاعتقادية.

هذا ما أدى إلى ذلك الخلط المصطلحي عند الترجمة، ما جعل الأسطورة حقيقة فنا زئبقيا في وقتنا الحالي، يتسرب من بين أيدينا ويتمظهر خلف العديد من الأقنعة فيصعب الإمساك بها، **"إن انحسار الأسطورة عن معظم مواقعها القديمة لا يعني استئصال النزوع الأسطوري الذي يقبع في أعماق النفس متخفيا خلف آليات التفكير العلمي والفلسفي"**[16]. لذلك يخطئ من يتوهم إن الأساطير اندثرت ولم تعد موجودة إلا ضمن بعض التوظيفات الرمزية، بل إنها في الحقيقة لا زالت قابعة في أعماقنا، نتذكرها ونعود إليها مرارا في الكثير من تصرفاتنا اليومية وإن لم نعترف بذلك، **" فالأساطير والفكر الأسطوري قد لا يتصل بالماضي فقط أو بخطاب الآخرين دون سواهم بل لعله ان يكون جزءا لا يتجزأ من كيان البشر يتجلى في ثنايا ما يقدم من نماذج ورؤى سياسية أو علمانية أو حتى أدبية وشعرية"**[17] وهذا ما سنقدم نماذج عنه لاحقا، لكن قبل ذلك يجب الوقوف قليلا عند نشأة الأساطير ومراحلها لفهم تواجدها الخفي الحالي .

ظهور الأساطير وتطورها:

يبدو أن الأسطورة قد بدأت في المرحلة التالية من تطور التفكير الإنساني، عندما أخذ الانسان ينتزع "فكرة" الشيء ويعزلها عن الشيء نفسه، فكأنما قد خطا نحو فصل الروح عن ذلك الشيء؛ وقد كان انتزاع "الفكرة" أمرا مهما من أجل التوصل إلى تنسيق ما لعمل المظاهر الجارية في الطبيعة، وتفسير العوارض الكونية، ثم إلى تنظيم نوع من الإنتاج الواعي وإحلاله محل "الإنتاج العفوي" المعتمد على تحصيل ما تعود به يد الطبيعة، فاستخلاص الأفكار المتعلقة بالأشياء، ووضع تصور عن الشيء أو الأداة وفائدتها قبل اختراعها، كان مهما من أجل التدخل في الطبيعة بهدف تحسين الوضع المعيشي للإنسان .

وهكذا فقد كانت الأساطير نتيجة لتطور فكري عريق ومتواصل عبر مئات القرون وقد ارتبطت بالتطور الفكري للإنسان وعلاقته بالطبيعة والمحيط، واستطاعت خلال تاريخ البشرية أن تغتني بمضامين جديدة لتغدو أكثر تعبيرا عن عصرها وأدق تصويرا للمجتمع الذي أوجدها، كما أنها توصلت خلال تطورها الكبير، وسعي الشعراء والفنانين في صياغتها، إلى أن تكتسي بلباس فني جذاب وتتخذ بناءها الفني الدقيق وأن تغتني بالمعاني الإنسانية النبيلة التي جعلت منها أثرا خالدا في تراث الإنسانية.

ما يجعل من الممكن لنا أن نعتبر الأساطير . وهي الجانب الذي سُمِّحَ بإعلانه على الملأ وسُمِّح بإذاعته ونشره بطريقة او بأخرى لما كانت تتميز به من قدسية . كانت مجرد ظل للحقيقة، أو كانت مجرد إشارة إلى الحقيقة في نطاق حضارات اتسمت الحقائق العلمية فيها بالسرية ولم يكن يُسمَح لجميع الناس من أفراد الشعب بالمشاركة فيها أو الوقوف عليها؛ ومن ثمة فإن رجال الدين والسحرة[18] كانوا في صياغتهم للأساطير يغترفون من معرفتهم بعض الشذرات القليلة، يصوغونها في صيغ رمزية غير صريحة ومكتنفة بالغموض[19].

بقايا الأسطورة عند العرب حديثا:

فصلنا سابقا كيف أنه بعد تطور الفكر البشري وظهور العلم والدين والفلسفة تخلى الإنسان عن الأساطير إبداعا وإن كانت تأثيراتها لا تزال كامنة في أعماقنا، سواء عبر الحكايات التي ألفنا سماعها من الجدات، وترسخت في وجداننا عن الأغوال والجن، والحيوانات التي تكلم البشر وغيرها، أو المعتقدات الشعبية

التي مازجت تفكيرنا، أو حتى في بعض الاستعمالات اللغوية، ويبقى الخيط الفاصل بينها جميعا هو الاعتقاد، إذ نمسك ببقايا الأساطير من خلال درجة اعتقاد الانسان بما ورد فيها، وهذا ما يجعلنا أمام كم هائل منها، ندعي أن الأساطير اندثرت ونتبجح بفكرنا الأرقى من تفكير أجدادنا الأوائل، بل ونتهمهم بالسطحية وضيق الأفق الفكري وضحالة المعرفة، ولا نخادع إلا أنفسنا، والأمثلة على ذلك متعددة سنورد فيما يلي طرفا منها:

تمارس بعض الجماعات في الجزائر .واقتصرت حاليا على الأطفال .لعبة تسمى بالدارجه "بوغنجة" من أجل استدرار المطر وما هي إلا جزء من الطقوس التي كانت تمارس قديما في تمجيد الاله انزار اله المطر[20].

ألا يؤمن الكثير منا في مناطق مختلفة من الوطن بعدد من الأولياء يعتقدون أن لهم أكثر من قبر، فأطلق على جماعة منهم لقب "بوقبرين"، فكيف يكون للشخص نفسه أكثر من قبر في عدة أمكنة؟ والدليل ما يدعى أنه قبر خالد بن سنان العبسي في منطقة سيدي خالد بولاية بسكرة، ويؤمن كل سكان المنطقة بذلك ولا أحد يجرؤ على مجادلتهم، بل وسجله المؤرخون ودُوِّن في كتب التاريخ والجغرافيا، لكن ألم يتساءل أي أحد كيف وصل خالد بن سنان إلى هنا؟ وهو الذي توفي في أراضي عبس بنجد في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام بسنوات، وبالتالي قبل أن يضع العرب أقدامهم في هذه الرقعة من شمال افريقيا[21].

يقابله ما يعرف في مصر بمقام السيد الحسين، في المنطقة المسماة باسمه جوار جامع الأزهر في القاهرة القديمة، وهم يعتقدون أنه يضم رفاة الحسين ابن علي وفاطمة الزهراء رضي الله عن الجميع، حفيد الرسول ﷺ، فيقصدونه من مختلف الأنحاء خاصة الشيعة للتبرك به، لكن كيف وصلت رفاته إلى هناك، وقد قتل في كربلاء، وحمل رأسه إلى الخليفة الأموي في دمشق، كما تؤكد الحوادث التاريخية، بل إن القاهرة أساسا لم تكن قد بنيت بعد، وقد اختطها كما هو معروف جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله لذا اشتهرت بتسمية "قاهرة المعز"، ولازال الشارع الأثري، الذي يحمل اسمه، قائما قرب الحسين يشهد بذلك، وكان الفتح الإسلامي على يد عمرو بن العاص بتوجيه من الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب قد اكتفى بناحية الفسطاط، أين يقع مسجده إلى الآن، وهو على بعد عشرات الكيلومترات من الحسين .

ومن جانب آخر ألا يؤمن بعض العجائز إلى اليوم أن الأرض موجودة على قرن ثور وإن نقلها إلى القرن الآخر تحدث الزلازل، ألا يرجع هذا الاعتقاد إلى أسطورة قديمة عن خلق الأرض أوردها الثعلبي النيسابوري في قصص الأنبياء، ويظهر جليا أن هذه الأسطورة كانت منتشرة بكثرة في بلدان المغرب العربي ويعتقد سكانه بمضمونها اعتقادا جازما فوظفوها في العديد من انتاجاتهم[22].

نجد أسطورة أخرى وردت الإشارة إليها كذلك في كتب التفسير كالطبري وابن كثير، ووردت في رواية عن علي بن أبي طالب وأخرى عن ابن مسعود: هي أسطورة الزهرة[23]، الكوكب المعروف والذي أبهر العرب في الجاهلية بجماله، لكن تأثيرها تجاوز ذلك بكثير وألقت بضلالها على القاموس اللغوي: **"أفلم تشتق في العربية من مادة زهر ومعناه أشرق وتلألأ وكان أبيض وهي من علامات الجمال والحب والسرور"**[24]، أليست الزهرة هي المقابل العربي لعشتار البابلية إلهة الجمال، والتي تجلت في أوثان شبه الجزيرة العربية باسمي "اللات" و"العزى"، ويرى فراس السواح إنها ليست سوى الأسماء التي كانت تطلق في جزيرة العرب على ما أسماها "الآلهة الأم"، حين اعتبر أنه قد نشأت **"ديانة مركزية واحدة وأسطورة أولى"** في عصر موغل في القدم **"كانت ذات تأثير مباشر على الأشكال الدينية والأسطورية لدى جميع الثقافات اللاحقة"** وهو ما يفسر تشابه الأساطير الأساسية لدى شعوب العالم القديم[25]، فتقابل "عشتار" البابلية "أفروديت" اليونانية و"فينوس" الرومانية، و"إيزيس" الفرعونية و"اللات والعزى". أو الزهرة سابقا. العربية، و"كالي" الهندية.

وتتحدث الأساطير السومرية القديمة عن علاقة عشتار بتموز[26] (أدونيس عند البابليين كما ورد في ملحمة جلغامش) الممثل لإله الخصب والنماء، وهو من الأسماء السريانية المستعملة في المشرق العربي لأحد شهور السنة الميلادية (يوليو أو جويلية عند الغرب) المرتبط بالحصاد.

ولا تقف علاقة آلهة العرب الوثنية عند هذا الحد، بل يتعداه إلى كبير آلهتهم "هبل"، الذي حين نتأمل في لفظه نجده ينقسم إلى جزأين: الهاء و"بل"، فالهاء عند الثموديين وعدد من العرب أداة تعريف، أما "بل" فمحرفة عن "بعل" وهو إله البرق والرعد عند الكنعانيين تماما مثل "زيوس" كبير آلهة الاغريق.

نعود إلى منطقة المغرب العربي الذي لا زالت الكثير من الأماكن فيها تحمل أسماء أسطورية قديمة، وخاصة الإغريقية منها، وأهمهم الإله أطلس، وهرقل البطل الذي كان ثلثاه إله ابن زيوس كبير الآلهة من امرأة بشرية ضمن ما يسمى أسطورة مغامرات هرقل[27].

كان الإغريق في القديم ينظرون إلى جبال الأطلس في المغرب العربي أنها أعلى القمم، فتصوروا أنه يقبع فوقها الإله العملاق أطلس المكلف بحمل السماء كي لا تسقط على الأرض، وهو يقبع "**في إفريقيا المظلمة شمالا بغرب، تجده على قمة جبل السماء، ويتشح بوشاح من اللازورد يرفرف بين المشرق والمغرب**" وهو حمل ثقيل بدأ يتململ منه "**ويود لو ينجيه منه أحد ولو انتثرت الكواكب، وانتقض نظام الكون**"

كلف هرقل في إحدى مغامراته من طرف زوجة والده الإلهة هيرا بإحضار "تفاحات الهسبريد"، الذي كان أطلس هو الوحيد الذي يستطيع الحصول عليها، وبعد مغامرة شاقة وصل إلى السد الذي يفصل البحر المحيط عن البحر الأبيض وكان جبلا شامخا "**فلم يستطع أن يتسلقه ضربه بيمينه ضربة وشماله أخرى ففتح ثغرات كبيرة نفذ منها وترك الجبل وراءه أعمدة عالية وما تزال تعرف إلى يومنا هذا بأعمدة هرقل**"، (مضيق جبل طارق حاليا) هنا يتدخل المخيال الشعبي ويفسر السبب وراء هذه الأعمدة الهائلة التي تفصل بلاد المغرب عن أوروبا، إذ وصل البطل إلى مبتغاه عن طريق اليابسة دون الاضطرار لعبور البحر الذي يفصل القارتين.

رغم كون هذا الأسطورة إغريقية، وليس هناك ما يثبت تداولها بين سكان المنطقة الأصليين، إلا أنها تقدم تعليلا لبعض الظواهر وتشرح السر وراء بعض مسميات الأماكن، فنفهم لم سميت هذه القمم العالية بجبال الأطلس، ولم سمي المضيق الفاصل بين القارتين قديما أعمدة هرقل، والذي تغير اسمه بعد الفتح الإسلامي فأصبح يطلق عليه اسم مضيق جبل طارق، نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس.

هناك أيضا شكل أدبي آخر حفظ لنا الكثير من البقايا الأسطورية هو الأمثال، التي لا تحفظ لنا الأسطورة كاملة، بسبب بنيتها اللغوية القائمة على الايجاز، لكنها تشير إليها وتقدم خلاصتها، إذ نجد في الأساطير المرتبطة بآلهة

الخصب والجمال أنه ترتبط عبادتهم بطقوس مليئة بالفسق والفجور والانحلال الجنسي، احتفالا بعودة الحياة إلى الأرض بعودة الإله، الأمر الذي أشارت إليه بعض الأمثال الشعبية، مثل ما يرد في قولهم "**في الصيف يهيج العتروس والمكروس والناموس**" والمكروس هو المراهق من الرجال، أي أنه بتأثير الحرارة تهيج الحيوانات وتزداد العاطفة الجنسية لدى المراهقين من الشباب . وكما عبروا في أمثالهم عن تأثير الحر في المراهق الذكر عبروا عن الأنثى، ورأوا أن رغبتها الجنسية تتقدم الذكر، وعلامتها قولهم **"كي تنور الدفلة اتحرق الطفلة"** أي تزداد رغبتها الجنسية، وعلى الأهل مواجهة ذلك بالحذر الشديد وحراستها، كما في المثل الآخر **"احمات القايلة واقراص اللبن واللي عنده طفلة يدير لها الرسن"** تؤثر شدة الحر وحموضة اللبن في البنت المراهقة، وجرت العادة على اطلاق لفظ طفلة على كل من بلغت ولم تتزوج[28] .

الآثارالأسطورية في اللغات العالمية:

بعد أن تطرقنا إلى بعض الإشارات الأسطورية في تراثنا ولغتنا العربية، نواصل الحديث عن هذه الآثار في اللغات العالمية الأوروبية خاصة، وهي واضحة بكل جلاء باعتبارهم ورثة الحضارتين الرومانية واليونانية وبالتالي حاملي أساطيرهم، ونكتفي بإيراد بعض الأمثلة كافية للتأكيد على هذا التأثر البالغ، حتى في الكلام اليومي، ألا نسمع الكثير من الفرنسيين يقسمون بقولهم Au nom de Zeus وترجمته "باسم زيوس"، كما نقسم نحن العرب باسم الجلالة، وزيوس كما مر بنا هو كبير الآلهة عند اليونان.

يقابل زيوس عند الرومان جوبيتر Jupiter كبير الآلهة لديهم، وهو الاسم الذي أطلق على أكبر وأعظم كواكب المجموعة الشمسية (المشتري)، الذي تعد كتلته أكبر من جميع الكواكب والأقمار في المجموعة وهو ملك الكواكب، كما كان سَمِيه كبير الآلهة ورب الأرباب بتعبيرهم.

مر بنا أثناء حديثنا عن الزهرة أنها تقابل أفروديت الإغريقية وفينوس Venus الرومانية، ولا زال اسم فينوس يدل على الجمال إلى اليوم، والكثير من مستحضرات التجميل الشهيرة تسمى بهذا الاسم.

إضافة إلى باقي الأسماء المتخذة لكواكب المجموعة الشمسية: فالمريخ هو مارس Mars الذي كان إلها للحرب عند الرومان، التي من الطبيعي ان ترتبط بالدماء ذات اللون الأحمر، لذا اختير ليكون اسما لما يلقب بالكوكب الأحمر. وعطارد ميركيوري Mercury إله التجارة ورسول الآلهة عند الرومان، المتميز بسرعته الفائقة، فاختير اسما للكوكب المثبت فلكيا إنه يدور حول الشمس بسرعة ملفتة لقربه منها. وبلوتو Pluto إله الموتى والعالم الآخر، سمي به أبعد الكواكب في المجموعة الشمسية أو الكوكب المظلم، وكأنه ميت لا حياة فيه لبعده عن الشمس.

ناهيك عن زحل Saturn إله الزراعة عند الرومان، ونبتون Neptune إله البحار والمحيطات، وبالتالي يرمز للبرودة والتجمد، ولما كان الكوكب المسمى باسمه الأبعد عن الشمس من بين كواكب المجموعة الشمسية، إلى وقت ليس بالبعيد قبل اكتشاف كوكب بلوتو، وتحيط به مجموعة من السحب الزرقاء، فقد اختير له هذا الاسم، فهو أزرق بحسب زرقة المياه وبعده عن الشمس ما يجعله باردا، وأورانوس Uranus إله السماوات زوج جيا إلهة الأرض.

تجدر الإشارة كذلك بهذا الصدد إلى الإله كرونوس، الذي كان حسب الأسطورة يلتهم أبناءه خوفا من نبوءة أنهم سيتغلبون عليه ويسلبونه ملكه، إلى أن التهم اثني عشر ولدا، فثار عليه أبناؤه جوبيتر ونبتون وبلوتو واستقلوا بحكم الكون بعد التخلص منه، فجاء اشتقاق لفظ الكرونومتر المرتبط بالساعة، وعليه نفهم السبب وراء تقسيم اليوم إلى اثنتي عشرة ساعة.

حتى الكواكب الأقل شأنا أو كما تلقب القزمة لم تخرج عن هذا العرف، فأحدها هو سيريس وكانت إلهة الحصاد، والأخر إيرس إلهة الشقاق .

هذه أمثلة بسيطة تم اختيارها لأشياء معلومة لدى الجميع، لكن القليل فقط من تساءل عن دلالات هذه التسميات، أو أسباب إطلاقها، والأمثلة كثيرة نكتفي بما أوردناه للتدليل على تأثر اللغات الأوروبية بالأساطير القديمة، وعظم التغلغل الأسطوري عند إنسان العصر الحديث رغم نكران ذلك من طرف البعض.

وقفنا على أهمية الأسطورة وتواجدها الكلي في حياتنا، سواء في ممارساتها اليومية أو استعمالاتنا اللغوية، هذه الاستعمالات التي قد تتسع أحيانا فتطلق على أمور بعيدة عنها، وقد تتراجع مساحتها عند آخرين ويضيق مجال استخدامها، فيلقي بظلاله في النهاية على الترجمة، ما يؤكد مرة أخرى الارتباط الوثيق بين اللغة

وثقافة الجماعة البشرية الناطقة بها، وأي نقل لغوي دون مراعاة هذه الاختلافات الثقافية إنما هو بشكل ما خيانة للنص الأصلي، وعلى المترجم الحق الاطلاع على ثقافات اللغات التي يتعامل بها: المترجم منها والمترجم إليها، توخيا لأرقى درجات الأمانة العلمية.

الهوامش:

[1].في قوله تعالى: **"يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطيرالأولين"** (الأنعام)، وقوله عز وجل: **"إن هذا إلا أساطيرالأولين"**(المؤمنون)، وقوله سبحانه: **"وقالوا أساطيرالأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا"** (الفرقان)

[2].وهذه العلاقة بالآلهة ضرورية في الأسطورة، بل جعل بعضهم وجود الآلهة شرطا أساسيا لتمييز الأسطورة من الخرافة. وهذا يقودنا إلى مسألة اختلاف الثقافات، فمن حصرها بوجود الآلهة نظر إلى الأساطير الإغريقية والرومانية فقط، مع أن كل الحضارات القديمة عرفت الأساطير وكان لها أساطيرها الخاصة حسب معتقداتها وثقافاتها، وقد يكون الآلهة طرفا فاعلا فيها أم لا.

[3].حسب تعريف الباحث الروماني المتخصص في تاريخ الأديان ميرسيا ايلياد.

[4].يرجع إلى تعريف الفيلسوف الفرنسي بول ريكو في الموسوعة الكونية .

[5].فراس السواح "لغز عشتار. الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة". دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة دمشق سوريا. الطبعة الثامنة 2002 . ص 36 .

[6].فراس السواح "الأسطورة والمعنى. دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية". دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة. دمشق سوريا. دون تاريخ. ص 120 .

[7]. م. ف ألبيديل "سحر الأساطير دراسة في الأسطورة التاريخ، الحياة" تر حسان ميخائيل إسحاق. دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة. دمشق سوريا. الطبعة الثالثة 2015 . ص 20

[8].م . ف ألبيديل . نفسه . ص 19

[9].محمد عجينة " موسوعة أساطير لعرب عن الجاهلية ودلالاتها" دار الفارابي بيروت لبنان 2005. ص 39 .

[10].خليل تادرس "أحلى الأساطير العالمية " كتابنا للنشر الطبعة الأولى 2008 .ص 07.

[11].الخرافة هي الحديث المستملح من الكذب. ويعتقد ان هذه التسمية نسبة لرجل من بني عذرة اسمه "خرافة" اختطف الجن فعاد يحدث بما شاهد من احداث غريبة في عالم الجن فقيل "حديث خرافة" عن كل كلام غريب ومخالف للمنطق، ويروى ان الرسول ﷺ قال "خرافة حق".

[12].محمد عيلان " محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري" . دار العلوم للنشر والتوزيع. عنابة 2013. ص 68 .

[13].محمد عجينة. "موسوعة أساطير العرب" ص 24 .

[14].وردت أسطورة النفس العشق في كتاب الحمار الذهبي للروماني لوكيوس أبوليوس. ترجمة الدكتور أبو العيد دودو، الدار العربية للعلوم. بيروت لبنان. الطبعة الثالثة 2004. ويمكن مقارنتها بمجموعة من الحكايات الأمازيغية أمثال عصفور المطر، عصفور الهوى، الورد المنير لنلاحظ كيف حافظت الحكاية على نفس موتيفات الأسطورة واستبدلت فقط شخصية الاله الأسطورية بشخصية الغول الخرافية.

[15].محمد عجينة . "موسوعة أساطير العرب". ص 67

[16].فراس السواح "الاسطورة والمعنى" ص 32

[17].محمد عجينة "حفريات في الأدب والأساطير" . دار المعرفة للنشر. تونس. الطبعة الأولى 2006. ص 43

[18].وكثيرا ما كان رجل الدين هو الساحر، كما كان الساحر رجل دين .كانوا يضربون بستار من الكتمان على جميع المعارف العميقة ، ولم يكونوا ليسمحوا بإذاعة أي من تلك المعارف الا في صور قصصية تصلح لان تذاع بين الناس، ولا تعمل في نفس الوقت على افشاء أسراره.

[19].يرجع : خليل تادرس "أحلى الأساطير العالمية" ص 10

[20].يرجع حول الأساطير القادمة التي لا تزال بعض طقوسها ممارسة إلى الآن بشكل خفي إلى: جيمس جورج فريزر. "الغصن الذهبي. دراسة في السحر والدين" . ترجمة: نايف الخوص. دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق سوريا. الطبعة الأولى 2014.

[21].ينظر: أحمد الأمين. "الكلمة .الأسطورة .وعلاقتها بالتاريخ" مقار صادر عن "الموروث الشعبي وقضايا الوطن" محاضرات الندوة الفكرية السادسة الملتقى الوطني للموروث الشعبي بالنادي 2006. رابطة الفكر والإبداع بولاية الوادي الجزائر. 2006. ص 29 وما بعدها.

[22].فالشاعر الشعبي يقول:

أقسام الله سابقة والسعد واحد في البهموت وآخر في السابع

والبهموت هو أحد ألقاب الحوت المسمى نون في قوله "نون والقلم وما يسطرون" الحامل للثور الذي كلف بحمل الأرض فوق قرنه.

وفي السيرة الهلالية يرد أبو زيد الهلالي على سؤال الجن بهذا الخصوص فيقول:

خلق لهذا الخلق ﷻ ملك في صنع ثور والفرق ظاهر

خلق له الرحمان ﷻ قوائم كالأطوار وفيها حواصر

وخلق له الرحمان صخرة مركبة والصخرة على ظهر الحوت يا أهل البصائر

الحوت هو البهموت جل الذي وضع والبهموت على الريح والريح ساير

[23].وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: "كان النبي اذا رأى سهيلا قال: لعن الله سهيلا إنه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فإنها فتنت ملكين هاروت وماروت" (أورده الثعالبي في عرائس المجالس)، ويرى بعض المتأخرين انه ضعيف وان مصدره الاسرائيليات .

[24].محمد عجينة "حفريات في الأدب والأساطير" ص 210 .

[25].ينظر فراس السواح " لغز عشتار" ص 24 .

[26] تموز اله الخصب والنماء اختطفته إلهة العالم الآخر، وسعت عشتار لإعادته، إلى أن توصل الطرفان في النهاية ان يبقى تموز في عالم الموتى نصف السنة، ويعود إلى حبيبته عشتار نصف السنة الآخر (الربيع والصيف) فتخضر الأرض بعودته وتبتهج ويظهر النبات.

[27] .ينظر دريني خشبة "أساطير الحب والجمال" دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 2009 المجلد 2 ص 31 .

[28] .ينظر محمد عيلان . نفسه . ص 163 .

قائمة المصادر والمراجع:

1.الأمين . أحمد. "الكلمة .الأسطورة .وعلاقتها بالتاريخ" مقار صادر عن "الموروث الشعبي وقضايا الوطن" محاضرات الندوة الفكرية السادسة الملتقى الوطني للموروث الشعبي بالنادي 2006. رابطة الفكر والإبداع بولاية الوادي الجزائر. 2006.

2 .تادرس . خليل . "أحلى الأساطير العالمية " كتابنا للنشر الطبعة الأولى 2008 .

3 .جيمس جورج فريزر. "الغصن الذهبي. دراسة في السحر والدين" . ترجمة: نايف الخوص. دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق سوريا. الطبعة الأولى 2014.

4 .خشبة . دريني . "أساطير الحب والجمال" دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 2009 المجلد 2 .

5 .عجينة . محمد . "حفريات في الأدب والأساطير" . دار المعرفة للنشر. تونس. الطبعة الأولى 2006.

6 .عجينة . محمد . " موسوعة أساطير لعرب عن الجاهلية ودلالاتها" دار الفارابي بيروت لبنان 2005.

7 .عيلان . محمد . " محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري" . دار العلوم للنشر والتوزيع. عنابة 2013.

8 .السواح . فراس . "لغز عشتار. الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة". دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة دمشق سوريا. الطبعة الثامنة 2002 .

9 .السواح . فراس . "الأسطورة والمعنى. دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية". دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة. دمشق سوريا. دون تاريخ.

10 .لوكيوس أبوليوس . الحمار الذهبي. ترجمة الدكتور أبو العيد دودو، الدار العربية للعلوم. بيروت لبنان. الطبعة الثالثة 2004.

11 .م. ف ألبيديل . "سحر الأساطير دراسة في الأسطورة التاريخ، الحياة" تر حسان ميخائيل إسحاق. دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة. دمشق سوريا. الطبعة الثالثة 2015 .